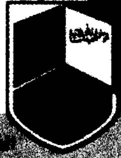
دراسات إسلامية

مجلة علمية سنوية محكمة

العدد الثامن / [illegible]



الجهاد في سبيل الله

" أهدافه والإعداد له "

د. حسين محمد الحسن علي

أستاذ مشارك ، كلية الدراسات الإسلامية ، جامعة الخرطوم

يصدرها قسم الدراسات الإسلامية ، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم - قسم الثقافة الإسلامية بإدارة مطلوبات جامعة الخرطوم

المستخلص :

يحاول هذا المقال توضيح أن الجهاد مشروع في الإسلام بالإجماع ، وذلك لما اشتمل عليه القرآن من الأمر به ، وما جاءت به السنة النبوية قولاً وعملاً ، وللحفاظ على مصلحة الدين أوجب الله الجهاد في سبيله لإعلاء كلمته وإقامة دينه في الأرض ، وللرد والدفاع عن النفس والمال والعرض.

ويؤكد المقال على أهمية الجهاد ، وعلى مكانته في الإسلام ، وعلى دوره الكبير في تحقيق مكانة الأمة الإسلامية.

Abstract:

Jihad is legitimate in Islam on the bases of both Koran and Sunnah. The aims of jihad are to protect the faith, the Muslim nation, and to resist the plots of other nations against Muslims. The paper tries to shed light on the significance of jihad in the life of Muslims. Furthermore the essay explains the importance of the community of jihad for reassuring the dignity of the Muslim Ummah.

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وإمام المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فالجهاد في الإسلام جهاد إنساني ، لم يشهد المؤرخون أنبل من أغراضه ولا أسمى من أهدافه ، ولا أرفع من مقاصده ، فهو يجنح للسلم إن طلب العدو ، وهو رحيم رفيق لا يعتدي ولا يأخذ على حين غرّة ، ولا يقتل شيخاً مسناً ولا امرأة ولا طفلاً ولا آمنا غير باغ ولا آثم. وشريعة الإسلام في الجهاد شريعة عادلة غير متعدية كغيرها من الشرائع التي جاءت لتحمي لا لتبدد ، ولتعدل لا لتبغي ، ولتوحد لا لتفرق ، ولتنشر السلام والأمن لا لترهب الضعيف الآمن.

وللحفاظ على مصلحة الدين أوجب الله الجهاد في سبيله لإعلاء كلمته وإقامة دينه في الأرض ، ولرد العدوان وللدفاع عن النفس والمال والعرض ، قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٣٩].

يقول سيد قطب مبيناً معنى هذه الآية الكريمة : **" إذا كان النص عند نزوله يواجه قوة المشركين في شبه الجزيرة ، وهي التي تفتن الناس وتمنع من أن يكون الدين لله ، فإن النص عام الدلالة مستمر التوجيه ، والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة ، ففي كل يوم تقوم قوة ظالمة تصد الناس عن الدين وتحول بينهم وبين سماع الدعوة إلى الله ، والاستجابة لها والجماعة المسلمة مكلفة في كل حين أن تحطم هذه القوة الظالمة وتطلق الناس أحراراً من قهرها يستمعون ويختارون ويهتدون إلى الله ".**(١)

الفخر الرازي : الكافر يسعى بأعظم وجوه السعي في إيذاء المؤمنين ، وفي إلغاء الشبهات إنه تعالى أمر بقتالهم ، ثم بين العلة التي بها أوجب قتالهم فقال : **" حتى لا تكون فتنة "** ويخلص الدين الذي هو دين الله من سائر الأديان.(٢)

والأمة الإسلامية اليوم على مفترق الطرق تتداعى عليها الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، فباتت قوى الشر تعمل على فصل المجتمع الإسلامي عن الإسلام وقيمه ، مستغلة بذلك الضعف السياسي الذي يسود المجتمعات المسلمة والتمزق والانقسام ، فسخَّروا قواهم في الفتك بالمسلمين وسفك دمائهم ، وعملوا على تفكيك الأمة الإسلامية حتى يتلاشى كيانها المادي والأدبي.

يقول الشهيد عبد القادر عودة : إن الإسلام يأبى على معتنقيه أن يستذلوا ، بل إنه لم يجعل في قلب المسلم مكاناً للذل إلا ذلة التواضع والرحمة لأخيه المسلم ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [المائدة : ٥٤] ، ويقو تعالى : ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح : ٢٩]. وما عدا ذلك فلا ذل ولا استذلال ، وإنما عزة واعتزاز على كل من في الأرض.(٣)

---

(١) ظلال القرآن ، ٧/ ٢٧٣.

(٢) التفسير الكبير ، الرازي ١٥/ ١٦٩.

(٣) الإسلام وأوضاعنا القانونية ، عودة ، ص٨٠

معنى الجهاد ومشروعيته وبيان فضله

معنى الجهاد :

معنى الجهاد في اللغة : إذا تناولنا معنى كلمة جهاد في قواميس اللغة العربية[4] وجدنا أنها مشتقة من الجهد بضم الجيم وفتحها ، فهي بالفتح المشقة ، وبالضم الوسع والطاقة ، والجهاد بالكسر : القتال مع العدو ، وهو استفراغ الوسع والجهد فيما لا يرتضى وهو ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهر والشيطان والنفس.

معنى الجهاد في الاصطلاح : يقول ابن رشد المالكي[5] : معنى الجهاد في سبيل الله هو المبالغة في اتعاب الأنفس في ذات الله وإعلاء كلمته التي جعلها الله طريقاً إلى الخير وسبيلاً لها..

وتنقسم إلى أربعة أقسام : جهاد القلب ، وجهاد باللسان ، وجهاد باليد ، وجهاد بالسيف.

ويقول ابن الهمام الحنفي[6] : الجهاد هو بذل ما يتمكن المؤمن من بذل وقول وفعل في سبيل إعلاء كلمة الله. وقد فُرض الجهاد لإعزاز دين الله ودفع الشر عن العباد.

ويقول الشوكاني[7] : الجهاد هو مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام ، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

أما الشافعية[8] : فقد قالوا في تعريف الجهاد بأنه القتال في سبيل الله لإقامة الدين ، وأنه لا يجوز قتال العدو حتى يُدعى إلى الإسلام أولاً ، لأنه لا يلزمهم الإسلام قبل العلم ، وعليه يأتي القتال في المرحلة التالية بعد الدعوة إلى دين الحق.

وعرفه ابن قدامة الحنبلي[9] : بأنه بذل المهجة والمال لإعلاء كلمة الله.

---

(4) تاج العروس ، ج٢/ ٣٢٩ فصل الجيم باب الدال ، لسان العرب ج٣/ ١٣٣ باب الدال فصل الجيم.

(5) المقدمات الممهدات ، ابن رشد ج١/ ٣٤١.

(6) فتح القدير ، ابن الهمام ج٨/ ٤٣٥.

(7) السيل الجرار ، الشوكاني ج٤/ ٣٧١.

(8) المذهب ، الشيرازي ج٢/ ٢٣٢ ، حاشية الباجوري ج٢/ ٢٦١.

(9) المغني ، ابن قدامة ج٨/ ٣٤٦.

من التعاريف السابقة تتضح لنا أمور وهي :

(١) الجهاد فرض على المسلمين لنصرة الإسلام ، بعد وجود مقتضياته من قبل العدو.

(٢) أن الغاية من الجهاد هو إعلاء الله تعالى ، وتكون ابتداء بالطريق السلمية ، والدعوة للدين الحق بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادية بالحسنى.

(٣) إن الجها إنما يكون بين المسلمين وأعدائهم الكافرين ، فلا يقاتل المسلمون بعضهم بعضاً ، ولا يكون الجهاد إلا عند المحافظة على الدولة الإسلامية وتحصين البلاد ، عندئذٍ يلجأ للقتال لضرورة قتال المعارضين للدعوة. وكل جهد يبذل في هذه الغاية فهو سبيل الله.

معنى الحرب :

الحرب في اللغة العربية : نقيض السلم ، وتصغيرها حُريب بغير هاء ، وجمعها حروب. حاربه محاربة وحرابا ، وتحاربوا واحتربوا وحاربوا ، ورجل حرب ومحراب : شديد الحرب ، شجاع.[١٠]

أما في الاصطلاح : فهي[١١] الصراع المسلح الهادف لتحقيق ما عجزت عنه الوسائل السلمية من تحقيقه.

وعرفت أيضا[١٢] بأنها القتال الناشئ بين دولتين أو أكثر للحصول على مقاصد سياسية بقوة السلاح.

وعرفت أيضا[١٣] بأنها إحدى الوسائل السياسية للحصول على بعض المطالب.

من خلال هذه التعاريف ندرك أن الحرب مهما اختلفت تعاريفها فهي ليست إلا صراعا دموياً بين إرادتين تبتغي كل منهما التفوق على الأخرى والتغلب عليها ، وتحطيم مقاومتها وحملها على التسليم لها بما تريده ، وبما تمليه عليها لتحقيق مصالحها ، فهي كفاح مسلح يتمثل في صورة العنف والتدمير.

---

(١٠) لسان العرب ، ج١/ ٢٠٣ ، باب الباء فصل الحاء.

(١١) فن الحرب الإسلامي ، بسام العسلي ، ص١٣.

(١٢) نظرية الحرب في الشريعة الإسلامية ، د. إسماعيل إبراهيم محمد ، ص٢٢.

(١٣) المرجع السابق.

وفي الجاهلية[14] قبل الإسلام كان حب القتال مغروساً في نفوس العرب حتى تحول إلى شغف بالسيطرة والغلبة عن طريق البغي والبطش والعدوان ، ولا يمكن التوصل إلى الحق إلا عن هذا الطريق. ويعبر عمرو بن كلثوم عن ذلك في قوله :

إذا ما الملك سام الناس خسفاً * أبينا أن نقر الذل فينا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها * ونبطش حين نبطش قادرينا
بغاة ظالمينا وما ظلمنا * ولكنا سنبدأ ظالمينا

هكذا كانت حياة العرب ، قتال في قتال ، دماء تسفك ، وتراق ، حتى أتت الحرب على الحرث والنسل ، ولكثرة سفك الدماء اصطلح العرب على أشهر أربعة حرَّموا فيها القتال تُعرف بالأشهر الحرم وهي : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب. ظلت هذه الحروب مغروسة في قلب الجاهلي حتى جاء الإسلام فخمد أوارها.

وعلماء الشريعة لم يتناولوا في كتبهم لفظ الحرب لما تحمله اللفظة من معنى الصراع والتناحر للاستيلاء على ما يملكه الغير ، وإنما عبروا عن الحرب بلفظ الجهاد ، وكلمة جهاد تختلف عن كلمة حرب في معناها فهي ليست بمعنى إرغام الناس على اعتناق الإسلام ، أو الاستيلاء على أوطانهم ومواردهم الخيرية للابتزاز والتخريب. وسيأتي تعريف معنى الجهاد بالتفصيل لاحقاً.

ذكر أبو الأعلى المودودي[15] أن الإفرنج ترجموا كلمة جهاد وفسروها تفسيراً منكراً وألبسوها ثوباً فضفاضاً من المعاني الملفقة. فهي عندهم شراسة الطبع والخلق ، والهمجية وسفك الدماء ، فهي عبارة عن مواكب من الهمج عالية أصواتها بهتاف **" الله أكبر "** ، وذكروا أن هذه الصورة مرآة لما كان بسلف هذه الأمة من شره إلى سفك الدماء ، وجشع بالفتك بالأبرياء. وردّ المودودي على ذلك بأن هؤلاء الإفرنج هم الذين استعبدوا الناس ، واستعمروا أراضيهم واستبدوا بثروات البلاد التي استعمروها دون أصحابها ، وقلوبهم كلها جشع وشره إلى المال ، وبين أيديهم الدبابات المدججة وفوق رؤوسهم الطائرات المحلقة في جو السماء ، فلم تكن حروبهم في سبيل الله إنما في سبيل شهواتهم الدنيئة وأهوائهم الذميمة.

---

(14) تاريخ الحرب في عصر الجاهلية ، د. عبد العزيز سالم ، ص٤١٦.

(15) الجهاد في سبيل الله ، المودودي ، ص٤.

الفرق بين الجهاد والحرب :

بعد أن استعرضنا تعريف الحرب وتعريف الجهاد ، نجد أن التعريفين يختلفان عن بعضهما تمام الاختلاف.

فالحرب فيها الظلم والاستعلاء والاستكبار والاستعباد وتسخير الشعوب واستغلال خيراتها ، فهي حرب بغيضة مضنية يبغضها الله عز وجل وينهى عنها لأنه فيها اعتداء ، وليس لها سبب عادل يبررها قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠].

أما الجهاد فيترتب عليه إرساء قواعد الحق والعدل ونشر فضائل الإسلام وأخلاقه العالية ، وإخراج الناس من أوحال الشرك ورجس الوثنية إلى نور الإسلام وسعة الدنيا والآخرة.

إن الحروب في العصور الماضية والتي لا تزال مستمرة حتى زماننا هذا قد قضت على الأخضر واليابس ، حروب لا ترحم لا تدع شيئاً أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، ويكفينا ما فعلته الحرب بالناس في الحرب العالمية الأولى والثانية.

أما الجهاد في الإسلام فلم يكن لأي هدف أو طمع دنيوي ، بل لإعلاء كلمة الله ، والمجاهدون كانوا مضرب المثل في العدل والرحمة والرفعة في المعاملة ممتثلين لأمر رسول الله ﷺ [١٦]بأن لا يغدروا ولا يُمَثِّلوا ولا يقتلوا ولدا ولا امرأة. إذن يتبين لنا أن الجهاد شيء غير الحرب وليس هناك علاقة بين المعنيين من قريب أو بعيد.

الحرب الحديثة :

كثير من المعاني الفاسدة التي تحتوي مضامين لا تقبلها الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، هناك من يكسوها بمصطلحات تستر- ولو ظاهرياً- ما فيها من عوار ، ومن تلك المعاني غير المقبولة : مفهوم البغي والاستطالة والعدوان على الناس بغير حق ، الذي ألبسه أهل الظلم والطغيان في عصرنا الحاضر مصطلحاً موهماً قد تخفى حقيقته على كثير من الناس ، فسموه بـ" **الحرب الاستباقية** ".

---

[١٦] الموطأ ، الإمام مالك ج٢/ ٤٤٧ كتاب الجهاد ، النهي عن قتل النساء والولدان في الجهاد ، صحيح مسلم ج٤/ ١٤ كتاب الجهاد والسير.

والمراد بالاستباق هنا سبق دولة أو عدة دول والمبادرة بشن الحرب ضد دولة أخرى ، أو جماعة أو منظمة تجاه أي خطر محتمل منها بزعم تهديده الأمن القومي للدولة ، أو الدول المبادرة بالعدوان ومصالحها مستقبلاً ، دون انتظار صدور أعمال عدائية منها ، والحد من نمو أي قوة من الممكن أن تكون منافسة ولو بعد حين وإعاقتها ، بما يجعل القوة والتفوق والنفوذ محصوراً في الدولة المستبقة بالعدوان ، وربما نعتوها بـ" **الحرب الوقائية** " ، وذلك كله من التلاعب بالألفاظ وتسويغ العدوان على الآخرين.

ولاشك أن الحديث عما يهدد الأمن القومي ، والحديث عن الخطر المحتمل حديث فضفاض لا ينضبط بمعايير محددة ، ويمكن للدول الظالمة الباغية أن تدعي- وفقاً لأطماعها التوسعية- سلسلة من الأمور التي تهدد أمنها القومي أو تمثل لها أخطاراً محتملة ، تمارس بسببها حرباً وضغوطاً على الآخرين ، بينما هي في حقيقتها مجرد منافسة ومسابقة ، ومن طبيعة هذا الاستباق العدواني أنه لا يستند إلى أسباب حقيقية ، بل تكون الظنون والتخمينات والدعاوى والتصورات هي المستند الأكبر فيه.

وتلعب الاستخبارات في ذلك دوراً كبيراً ، وقد تلفق التقارير لتسويغ الحرب على دولة أو جماعة أو منظمة كما حدث مع العراق؛ فإن التقارير والتوصيات إذا لم تكن قائمة على أسباب واضحة وملموسة ، وكانت قائمة على الظنون والتصورات فإنه من الممكن التلاعب بها وتوجيهها الوجهة المطلوبة ، وهو ما يخفي في حناياه ألواناً من الظلم والطمع والحسد والرغبة في العلو على الآخرين بالباطل ، وهذا يعني المبادرة بالسبق بالعدوان على الآخرين وفق المطامع والمصالح التي ترجوها الدولة البادئة بالعدوان ، تحت مظلة وهمية من القيم الزائفة التي لا رصيد لها في واقع المعتدين الباغين.

فالحرب الاستباقية لا يراد منها تحقيق عدالة ، أو تفادي خطر داهم ، وإنما يراد منها ما يحفظ المصالح الخاصة بالدولة المستبقة بالعدوان ويمنع من تهديد تفردها واحتكارها للساحة الدولية ، فهي أنانية مفرطة تفوق التصور وفق منظورها الأحادي النظرة بعيداً عن الالتزام بأي قيمة أخلاقية.

في أعقاب حادث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ظهر في السياسة الأمريكية بقوة تداول مصطلح " **الحرب الاستباقية** " ليكون مسوغاً ومظلة لشن حرب صليبية على المسلمين. ومن غريب الأمر أن معنى " **الأمن القومي** " قد تمدد بفعل طغيان القوة ليشمل

مناطق تبعد عن الدول المستبقة بالعدوان آلاف الأميال؛ فقد اعتبرت تلك القوى نفسها وكأنها مالكة العالم أو السيد القائد صاحب التصرف الذي لا ينازع ، فرأت في كل خروج عما تراه من نظام لإرادة المجتمع الدولي ، والتنافس معها في امتلاك السلاح الفعال الذي تحمي به الدول نفسها ، ومنافسة هيمنتها وسيطرتها على منابع النفط وإمدادات الطاقة والأسواق العالمية ، تهديداً لأمنها القومي يسوِّغ لها القيام بالحرب الاستباقية ، وأعطت لنفسها الحق الكامل في تحديد ذلك ، وتجاوز تلك المنظمات التي لا يلتزم بها إلا الضعفاء حتى غدت تلك المنظمات وسيلة لفرض إرادة الأقوياء على الضعفاء تحت مسمى القرارات الدولية وإرادة المجتمع الدولي ، التي لم تزد في حقيقتها عن إرادة دولة أو عدة دول متنفذة في هذا العالم ، وكأن المجتمع الدولي قد اختزل في بضعة دول باغية مستعلية معبأة بنزعة عدوانية هائلة على الآخر المخالف أو المنافس.

إن هناك بعض الدول تزعم أنها تدافع عن المجتمع الدولي ، وأنها تعبر عن الإرادة الدولية ، وهذا قول ينكره العارفون بالقانون الدولي ، ويجمعون على أن تلك الدول تخرق بفعلها هذا القانون الدولي؛ وقد صرح مؤخراً " **كوفي عنان** " الأمين العام السابق لمنظمة الأمم المتحدة أن أمريكا وبريطانيا قد شنتا الحرب على العراق بالمخالفة لميثاق تلك المنظمة.

لقد انهارت نظريات السيادة الداخلية للدول؛ حيث أباحت الدول الاستعمارية لنفسها التدخل في سيادة هذه الدول وانتقاصها ، وانعدمت المساواة القانونية التي كانت قائمة في النظام الدولي ، وذلك بفعل أفكار الحرب الاستباقية ، ولقد كان من الوسائل المتبعة لتحقيق هذه الحرب لأهدافها إشاعة الفوضى والاضطراب في أماكن محددة من العالم تحت مسمى " **الفوضى الخلاقة أو البناءة** " بقصد إيجاد مسوغ للتدخل بحجة إعادة ترتيب الأوضاع في تلك الأماكن ولكن بما يحقق الأهداف العدوانية ويخدم السياسات الطغيانية.

السلام في الإسلام :

إن فكرة السلام تحتل المقام الرئيسي بين أهداف الإسلام العامة. فقد أقام الإسلام صرح السلام في نفوس الناس على مبادئ كريمة من الأخلاق ، وحال دون بواعث الشر والخلاف والفتنة في المجتمع بإحقاق الحق ومنع الظلم وإقامة صرح العدالة الاجتماعية. فالأساس الذي يتعامل به الناس هو الحب والرحمة والتعاون والصفح والتسامح ، ومعاملة المسيء بالإحسان يعد من مكارم الأخلاق في الإسلام. قال تعالى : ﴿ وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا

فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشورى : ٤٠]. ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٤-٣٥].

بل إن كل ما يؤدي إلى إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس حرام ولا يجوز أن يفعله المؤمن كالغيبة والنميمة والاستهزاء والظن السيئ ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ [الحجرات : ١١].

بهذا عمل الإسلام على إقامة السلم في داخل المجتمع ، بتربية النفوس على الخلق القويم ، والتعاون الإنساني الجميل ومنع كل ما يؤدي إلى اضطراب الأمن واختلال النظم وهذا هو الأساس الصحيح للدعوة إلى السلم ومنع الحروب والفتن. فالسلم الذي أقامه الإسلام وقائي يقى المجتمع من عوامل الحروب قبل أن تقع بحيث لا يترك للفتنة كوة تنفذ منها فتثير الشر ، وتعرض أرض المسلمين للدمار.

أما السلم الذي دعا له الإسلام خارج حدود الدولة فهو يتلخص في أن علائقنا مع الشعوب جميعاً هي المسالمة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة : ٢٠٨]. بل إن هذا السلم سلم تعاون بناء ، قال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨]. وهو تعاون يقوم على احترام عقائد الشعوب وحرياتها وكراماتها ، قال تعالى : ﴿ لَاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة : ٢٦٥]. والآيتان السابقتان تبرزان جانب قبول الآخر في السلام والتعايش معه ، ونقارن ذلك بما تعانيه البشرية اليوم في العالم من اضطهاد للأقليات ، وما تعانيه من التفرقة العنصرية.

إن الحرب في الإسلام تقوم على النظرة الواقعية التي أقرت فكرة الحرب ، فالحرب لتأمين السلام ، إذ أن من الناس من لا يردعهم القانون عن العدوان والطغيان ، فإن من الأمم من تغريها قوتها وضعف جيرانها بالعدوان والاستعمار ، فلاشك أن من الخير أن شرع الإسلام استعمال القوة للدفاع عن الإسلام ، وهذا ما رمى إليه الإسلام حين أقر القوة.

تشريع الجهاد وفضله

مراحل تشريع الجهاد :

إن المتتبع لآيات الجهاد وزمن نزولها وأقوال علماء التفسير فيها يرى أن فريضة الجهاد قد مرت بمراحل تشريعية يمكن إجمال الكلام عنها في نقاط أساسية هي :

المرحلة الأولى : تتمثل في الرد على عدوان كفار مكة والتصدي لإيذائهم وظلمهم ، وهذا ما يفهم من قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** ﴾ [الحج : ٣٩] ، يؤيد هذا المعنى المستفاد من الآية ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إن أبابكر قال حين نزلت هذه الآية " **فعرفت أنه سيكون قتال** ".[١٧]

المرحلة الثانية : السماح للمسلمين بقتال من يعتدي عليهم ، ولعل هذا المعنى هو الذي يشير إليه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ [البقرة : ١٩٠]. وقوله سبحانه : ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** ﴾ [البقرة : ١٩٤].

المرحلة الثالثة : الإذن بقتال اليهود وإخراجهم من ديارهم ، ذلك لأنهم نقضوا ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق وتآزروا مع أعداء الدعوة لقتال المسلمين وقتال رسول الله ﷺ ، فأنزل الله سبحانه قوله الكريم : ﴿ **الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ ، فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ، وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ** ﴾ [الأنفال : ٥٦-٥٨].

المرحلة الرابعة : الإذن بقتال قوى الشر متمثلة باليهود والنصارى الذين تكتلوا ووقفوا ضد الدعوة الإسلامية ومنعوا الناس من الدخول في دين الله. وهذا المعنى يفيده قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ**

---

(١٧) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٢٤.

وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ١٩٤].

المرحلة الخامسة : الإذن بقتال أعداء الإسلام عامة من مشركين ووثنيين وأهل كتاب نظراً لتكتل هذه الطوائف ، ومحاربتها للإسلام والمسلمين. وفي هذه المرحلة أصبح الجهاد عاماً غير مقيد بزمن ولا بوقت ولا بفئة من الكافرين.[١٨]

يقول ابن كثير في تفسيره : " **ثم أمر الله بقتال الكفار ﴿ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي شرك ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ ﴾ أي يكون دين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان** ".[١٩]

يتبين مما تقدم أن القتال في الإسلام ما هو إلا وسيلة لحماية الدعوة والدعاة من العدوان ، وإن أصل العلاقات الدولية في اعتبار الإسلام السلم والسلام. قال ابن تيمية رحمه الله : " **إذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ، ومقصوده هو أن تكون كلمة الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا ، فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين ، وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والزمن فلا يقتل عند جمهور العلماء** ".[٢٠]

وعلى هذا فمن لم يقاتل المسلمين ولم يمنعهم من إقامة دين الله لا يقاتل لأن مضرة كفره قاصرة على نفسه.[٢١] يؤكد هذا القول تفسير ابن كثير لقوله تعالى : ﴿ **فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ حيث يقول : " **فإن انتهوا عما هم فيه من الشك وقتال المؤمنين فكفوا عنهم ، فإن من قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم ولا عدوان إلا على الظالمين ، وهذا معنى قول مجاهد : لا يقاتل إلا من قاتل** ".[٢٢]

---

(١٨) الإسلام الحرب ، ص٢٥.

(١٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٢٧.

(٢٠) السياسة الشرعية ، طبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة ، ص١٢٣.

(٢١) الإسلام والحرب ، ص٢٤ ، وانظر السياسة الشرعية ، ص١٢٤.

(٢٢) تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٧.

فضل الجهاد ومنزلته :

الجهاد في سبيل الله مكرمة ، أي مكرمة ، وعزة أي عزة ، وهو أفضل الأعمال على الإطلاق ، عند الله تبارك وتعالى ، وثوابه يربو على ثواب الحج والعمرة والصيام والقيام ، ويكفيه فضيلة أن الله تبارك وتعالى قد تكفل للمجاهد إما بالنصر والظفر أو بالجنة والعاقبة الحسنى ، وقد فاز الجهاد بالعديد من الآيات الكريمة التي تشهد له بالفضل والتي تعد المجاهدين بالمثوبة التي لا تعادلها مثوبة ، وإن الجهاد تجارة رابحة مع الله الديان الكريم الغني المعطي الرحيم.

قال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الصف : ١٠-١٣].

وقال جل من قائل : ﴿ **لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [النساء : ٩٥].

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً** ﴾ [التوبة : ١١١].

وقال عز وجل : ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ** ﴾ [التوبة : ١٩].

كما حظي الجهاد بالجم الكثير من الأحاديث الشريفة التي تشيد بفضله وتجعله في مقدمة ركب صالح الأعمال ثواباً وأجراً وفضيلة.

وقد ترجم البخاري في صحيحه باباً قال فيه : " **الجنة تحت بارقة السيوف** " وهو نص حديث مرفوع إلى النبي ﷺ قال فيه : " **واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف** ".[٢٣]

(٢٣) فتح الباري على صحيح البخاري ٦/ ٣٣.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : دلني على عمل يعدل الجهاد ، قال : **" لا أجده! هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟ قال : ومن يستطيع ذلك؟ "**.[24]

وقال ﷺ : **" مثل المجاهد في سبيل الله. والله أعلم بمن يجاهد في سبيله- كمثل الصائم القائم ، وتكفل الله للمجاهد في سبيله بأن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة "**.[25]

على هذا فإن الجهاد يعتبر أفضل الأعمال الصالحة مطلقاً ، وفضيلته أعظم الفضائل باعتباره وسيلة إلى إعلاء الدين ونصره ونشره وإخماد الكفر ودحضه ، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك.[26]

قال الإمام ابن تيمية- رحمه الله- في كتاب " السياسة الشرعية " : **" لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد في الجهاد ، فهو ظاهر عند الاعتبار ، فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا ، ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة ، فإنه مشتمل على محبة الله تعالى والإخلاص له والتوكل عليه وتسليم النفس والمال له والصبر والزهد وذكر الله وسائر أنواع الأعمال على ما لا يشتمل عليه عمل آخر. والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسنيين دائماً ، إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة "**.[27]

إخلاص النية في الجهاد :

سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يُقاتل شجاعة ، والرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال : **" من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "**.[28]

ذكر الإمام العلامة الشيخ المجاهد أبو زكريا أحمد بن إبراهيم الدمشقي الدمياطي المشهور بابن النحاس في كتابه البديع **" مشارع الأشواق إلى مصارع العُشاق ، ومثير الغرام**

---

(24) فتح الباري ٦/ ٤ ، صحيح مسلم ٣/ ١٤٩٨.
(25) فتح الباري ٦/ ٦.
(26) فتح الباري ٦/ ٥ وهو من كلام ابن دقيق العيد.
(27) السياسة الشرعية ، ص١٢٢ وما بعدها ، الطبعة الرابعة عام ٦٩.
(28) أخرجه البخاري في الجهاد ، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير.

إلى دار السلام ، في فضائل الجهاد ".[٢٩] ما مختصره : " لما كان سبب النجاة العظمى ، وإحراز الربح الأسمى ، ومجاورة الرب الكريم في دار السرور والنعيم ، إنما يحصل بالإخلاص في العبادة ، وإرادة وجه الله فيما شرعه لعباده ، ووجدنا الأعمال كلها ، وإن تنوعت ، والقُرُب ، وإن تشعبت وتفرعت ، وصنوف الطاعات ، وأنواع العبادات ، وإن اختلفت مقاصد أربابها إذا صدر منها شيء مشوبا بالرياء والنفاق ، أمكن أن يصدر منها في وقت آخر على الإخلاص والوفاق ، وأمكن أن يأتي العامل بما يكفِّر تلك الزلة.

وإذا كان الأمر كذلك وجب تشمير ساعد المساعدة في تحقيق النية في الجهاد وأقسامها ، وكشف الستر ببيان البيان عن وجوه أحكامها عن وجه الإيجاز الوافي والاختصار الكافي.

فاعلم أن أنواع النية في الجهاد لا تنحصر لتنوع المقاصد فيه ، ولكن نذكر منها ما هو الغالب وجوداً ويقاس عليه ما قد يقع ، والتوفيق بيد الله سبحانه :

فمنهم من يقصد بجهاده وجه الله سبحانه ، لاستحقاقه هذه العبادة ، وأمره بها ، وافتراضها على عباده من غير التفات عنده إلى جزاء عليها في الآخرة ، وهذا عزيز الوجود نادر الإمكان.

ومنهم من يحمله الجهاد غيرة الإسلام ، والحرص على إعلاء كلمة الله تعالى وإعزازها ، وإذلال كلمة الكفر وأهلها؛ وهاتان النيتان لاشك في صحتهما ، ولا ريب في الفوز عند الله بهما ، ومما يدل على إخلاصه فيهما الاجتهاد على إخفاء عمله في الحال ، وعدم التبجح والافتخار بما صدر منه في المآل ، وحب أن لا يذكر شيء من ذلك ، واحتساب نفسه عند الله إن قتل هنالك ، وكراهة الظهور اكتفاء باطلاع الله ، واتخاذ ما أصابه ذخيرة له عند الله.

ومنهم من يقصد بجهاده الجنة وثوابها ، وكواعبها وأترابها ، والنجاة من النار وعقابها ، وأليم عذابها ، من غير تصور لغير ذلك ، هذا هو الأغلب وجوداً. وقد قال بعضهم : إن هذا القصد لا يكفي في نيل رتبة الشهادة ، والظاهر الصحيح أن هذا القصد كاف في نيلها ، وأن صاحبها من الفائزين بجنات النعيم ؛ ومما يدل على ذلك ترغيب الله في الجنة لمن جاهد في سبيله كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾ [التوبة : ١١١].

---

(٢٩) مشارع الأشواق إلى مصارع العُشاق٢/ ٦١٢.

أجر المجاهدين :

إن للمجاهد منزلة رفيعة في مقياس الناس وفي ميزان العدالة الإلهية ، وإن الشهيد في مقام كريم عند رب العزة ، وفي حواصل طيور خضر عند جنة المأوى وليس أحداً من أهل الجنة يتمنى أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد(٣٠) ، فإنه يود أن يقاتل ويقتل مرة ثانية ليحظى بما حظي به في المرة الأولى من روعة الاستقبال ، وبهجة اللقاء. قال رسول الله ﷺ : " **طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة. إن استأذن لم يؤذن وإن شفع لم يشفع** " (٣١) ، وقد شهدت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالحياة المنعمة التي لا موت فيها لمن قتل شهيداً.

قال سبحانه ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٦٩]، وقال رسول الله ﷺ " **عينانَ لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله** ".(٣٢)

وروي أن مالك الأشعري قال : " **سمعت رسول الله ﷺ يقول : من فصل (٣٣) فمات أو قتل فهو شهيد ، أو وقصه فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه. أو بأي حتف شاء الله فهو شهيد وإن له الجنة** ".(٣٤)

وقال ﷺ : " **إن في الجنة لمائة درجة ، ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض ، أعدها الله للمجاهدين في سبيله** ".(٣٥)

وقال عليه الصلاة والسلام " **من أغبر قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار** ".(٣٦)

وقال ﷺ " **رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات أجرى عليه عمله الذي كان يعمله ، وأجري عليه رزقه ، وأمن الفتان** ".(٣٧)

---

(٣٠) فتح الباري ٦/ ٨١.
(٣١) فتح الباري ٦/ ٨١.
(٣٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن.
(٣٣) خرج من منزله.
(٣٤) رواه أبو داؤود.
(٣٥) متفق عليه ، انظر السياسة الشرعية لابن تيمية ص١٢١.
(٣٦) اغبر قدماه أي تعفرت قدماه ، والحديث رواه البخاري.
(٣٧) الفتان ج فاتن وهو ما يفتن الميت في قبره ويضله عن السؤال ، انظر الجامع للأصول ٤/ ٣٤١ ، وفي القاموس الفتان بمعنى الشيطان ، والحديث رواه مسلم في صحيحه.

وعن أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة ابن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت : يانبي الله ، ألا تحدثني عن حارثة؟ وكان قتل يوم بدرٍ أصابه سهم غرب. فإن كان في الجنة صبرتُ ، وإن كان في غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء. قال : يا أم حارثة : " **إنها جنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى** ".[٣٨]

روي عن أبي سعيد أن رجلاً قال : " **أي الناس أفضل يا رسول الله؟ قال ﷺ : مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله** ".[٣٩]

وفي رواية لأبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال " **من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله ، يطير على متنه ، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه ، يبتغي القتل والموت مظانه** "[٤٠] وقال رسول الله ﷺ : " **أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل** ".[٤١]

قال رسول الله ﷺ : " **ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شئ إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة** ".[٤٢]

روى الحافظ ابن كثير في تفسيره لسورة آل عمران عن الحافظ بن عساكر قال : أملى عليَّ عبد الله المبارك هذه الأبيات بطرسوس وودعته للخروج للجهاد في سبيل الله ، وانشدها معي إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومئة ، وفي رواية سنة سبع وسبعين ومئة ليدل على ثواب الجهاد العظيم على غيره من العبادات.

يا عابد الحرمين لو أبصـــرتنا * لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدمـوعه * فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يُتعِبُ خيله في باطل * فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا * رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقـــد أتانا من مقـــال نبينا * قول صحيح صادق لا يكذب

---

(٣٨) فتح الباري ٦/ ٢٦.
(٣٩) صحيح مسلم ٣/ ١٥٠٤.
(٤٠) صحيح مسلم ٣/ ١٥٠٢.
(٤١) انظر فتح الباري ٦/ ٣٢ ، صحيح مسلم ٣/ ١٥١٢.
(٤٢) انظر فتح الباري ، ٦/ ٣٢ ، صحيح مسلم ١٥١٢.

لا يستوي غبار خيل الله في * أنف امرئ ودخان نار تلهب

هذا كتاب الله ينطق بيننا * ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال : فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام ، فلما قرأه ذرفت عيناه.(٤٣)

المرأة والجهاد :

حينما اتضحت فضيلة الجهاد والمجاهدين تطلعت أنظار النساء حباً إلى تلك الفضيلة ، ورنت أفئدتهم شوقاً لثواب الله العظيم ، متمنيات أن يشاطرن الرجال العطاء الكبير والأجر الكثير ، وسارعن يستفسرن عن نصيب المرأة من الجهاد ، فها هي ذي السيدة عائشة رضي الله عنها تسأل الرسول ﷺ أن تجاهد : يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد؟ فقال لها رسول الله ﷺ : " **لكن أفضل الجهاد حج مبرور** ".(٤٤)

ونص الحديث هو : إن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : " **استأذنت النبي ﷺ في الجهاد فقال : جهادكن الحج** " (٤٥) وجاءت نسوة كثيرات غير السيدة عائشة يسألن عن جهاد المرأة على نحو ما روت عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين " **عن النبي ﷺ سأله نساؤه عن الجهاد فقال : نعم الجهاد الحج** ".(٤٦)

فدل هذا على أن الجهاد غير واجب على النساء ، قال ابن حجر العسقلاني : " **وقوله " جهادكن الحج " لا يدل على أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد ، وإنما يدل على أن الجهاد لم يكن عليهن واجباً لما فيه من مغايرة المطلوب منهن من الستر ومجانبة الرجال ، فلذلك كان الحج أفضل لهن من الجهاد** ".(٤٧)

وقد تطوعت كثيرات من النسوة في الجهاد على عهد رسول الله ﷺ ، ففي غزوة أحد خرج عدد من النساء ، منهن أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية التي قاتلت للضرورة ، فضربت بالسيف ورمت بالنبل حتى أثخنتها الجراح وهي تدافع عن رسول الله ﷺ. والثابت أنها خرجت مع زوجها وابنيها ، كما حدثت عن نفسها ولترى ما يفعل الناس في الحرب فلما

---

(٤٣)

(٤٤) فتح الباري ٦/ ٤.

(٤٥) فتح الباري بشرح صحصح البخاري ٦/ ٧٥.

(٤٦) المصدر السابق.

(٤٧) فتح الباري ٦/ ٧٦ بتصرف في العبارة.

رأت رسول الله ﷺ قد كسرت رباعيته ، قاتلت دونه ، والقتال في هذه اللحظة يصبح فريضة عين على المسلم والمسلمة. قال ﷺ فيها : " **ما التفت يميناً وشمالاً يوم أحد إلا وأنا أراها تقاتل دوني** ".[٤٨]

ومنهن أيضاً أم سليط بنت عبيد بن زياد ، وعائشة بنت أبي بكر وأم سليم وفي الحديث الذي رواه أنس رضي الله عنه إشارة إلى ذلك حيث قال : " **لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ ، قال : ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم**[٤٩] **سوقهن تنقزان القرب** ".

وقال غيره[٥٠] : تنقلان القرب ، على متونهما ، ثم تفرغانها في أفواه القوم ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم.

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه " **أن أم سليط**[٥١] **كانت تزفر لنا القرب يوم أحد** ".[٥٢]

وفي حديث خالد بن ذكران أن الربيع بنت معوذ قالت : " **كنا مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى إلى المدينة** ".[٥٣]

على هذا فإن مهمة المرأة في القتال مساعدة فعالة للجنود المقاتلين ومعاونتهم على أداء مهمتهم الشريفة.

قالت أم عطية الأنصارية " **غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم ، فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى** ".[٥٢]

---

(٤٨) فتح الباري ٦/ ٧٩.

(٤٩) الخلاخل ، وهذه كانت قبل الحجاب ، ويحتمل أنها كانت عن غير قصد العبارة للنظر. وتنقزان : تسرعان المشي كالهرولة.

(٥٠) رواية جعفر بن مهران عن عبد الوارث أخرجها الإسماعيلي فتح الباري ٦/ ٧١.

(٥١) أم سليط هي والدة أبي سعيد الخدري كان زوجها أبو سليط من بني النجار فولدت له سليطا وفاطمة فتح الباري ٦/ ٧٩ ، ٧/ ٣٦٦.

(٥٢) تزفر : تخيط ، فتح الباري ٦/ ٧٩.

(٥٣) المصدر السابق.

(٥٢) صحيح مسلم ٣/ ١٤٤٧.

وروى أنس بن مالك كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا ، فيسقين الماء ويداوين الجراح.[53]

وذكر ابن عباس رضي الله عنهما : بشأن النساء " ... **وقد كان يغزو بهن ، فيداوين الجرحى ، ويحذين من الغنيمة وأما بسهم فلم يضرب لهن** ".[54]

وفي غزوة خيبر خرجت نسوة مع المقاتلين ، وقلن لرسول الله ، خرجنا نغزل الشعر ، ونعين به في سبيل المرضى ، ومعنا دواء للجرحى ونناول السهام ونسقي السويق ، فقال قمن[55] وانصرف.

ويوم حنين وجد رسول الله ﷺ عند أم سليم خنجرا كان معها : فقال لها : ما هذا الخنجر؟ فقالت : اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه فجعل رسول الله ﷺ يضحك.[56]

وعلى هذا فللمرأة مهمة سامية في الجهاد ، ولكن هذه المهمة منحصرة في نطاق ضيق جداً ، وإنها لمهمة ملائمة لطبيعة المرأة الجسمية والنفسية ، وقد تسامت عظمة الإسلام حينما لم يأمرها بحمل السلاح ولا بمقاتلة الأعداء جنباً إلى جنب مع الرجال والشباب لأن هذا العمل يخرجها عن طبيعتها الرقيقة اللطيفة ويخرجها عن كونها امرأة محتشمة متسترة محتجبة. والعمل الذي يتناسب مع عواطفها ومع طبيعتها الأنثوية أن تقوم برعاية الجرحى وبمداواة المصابين لأن هذا العمل الجليل يحتاج إلى شيء من الرفق والعطف والمداراة والليونة والنعومة.

ويمكن للمرأة أن تقوم بمهمة خياطة ملابس الجند ، والمساعدة في الطهي وإعداد المؤنة للمقاتلين وكل هذا لا يخرجها عن طبيعتها الرقيقة الناعمة. ونذكر في عصرنا هذا ما يسمى بزاد المجاهد الذي تعده المرأة للمجاهدين ، كما أرى أنه ينبغي للمرأة المسلمة التدريب على حمل السلاح واستخدامه حتى إذا غدر العدو من الخلف استطاعت أن تدافع عن نفسها وأسرتها.

---

(53) صحيح مسلم ٣/ ١٤٤٣.

(54) يحذين : يعطين- والحذوة العطية ، مسلم ٣/ ١٤٤٧- ١٤٤٤.

(55) أبو داود ٢/ ٦٨.

(56) مسلم ٣/ ١٤٤٢.

اقتناء الأسلحة والتدريب عليها :

لعل من أهم العوامل الحربية التي تؤثر في أساسيات المعركة وفي توجيه دفة القتال اقتناء الأسلحة ، ذلك لأن السلاح أكبر قوة مادية في يد الجندي والقائد على السواء وبقدر ما تقتني الدولة من أسلحة بقدر ما تكون مهابة مرهوبة الجانب من العدو والصديق.

والإسلام حريص كل الحرص على اقتناء أجود الأسلحة وأمضاها وأحدثها وأكثرها ملاءمة للعصر ولأسلوب الدفاع والهجوم ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٠].

وقال رسول الله ﷺ : " **ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي** ".[٥٧]

يقول القرطبي : وقد خص رسول الله ﷺ القوة بالرمي وإن كانت تظهر بإعداد غيره من الأسلحة وآلات الحرب لكون الرمي أشد نكاية في العدو وأسهل مؤنة.[٥٨]

وقال الرسول ﷺ : في الخيل ، وقد كانت من أهم وسائل الحرب : " **الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة** " وفي رواية : " **الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة** ".[٥٩]

وقال : " **من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة** ".[٦٠]

أهداف الجهاد في سبيل الله

إذا استعرضنا نصوص القرآن الكريم والتي تدور حول موضوع الجهاد نجد أن للجهاد ثلاثة أهداف رئيسية وهي : تأمين الدعوة إلى الله تعالى ورد العدوان ، ونصرة المستضعفين في الأرض.

---

(٥٧) رواه مسلم من حديث عقبة بن عامر.
(٥٨) فتح الباري ٦/ ٩١.
(٥٩) البخاري ٦/ ٥٤.
(٦٠) البخاري ٦/ ٥٧.

الهدف الأول : تأمين الدعوة إلى الله تعالى :

أمر الخالق سبحانه وتعالى نبيه ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى ، أي دعوة الناس جميعاً إلى عبادة الواحد الأحد ربا واحدا ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ : ٢٨]. وقوله جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧]. وقال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ ﴾ [البقرة : ١٩٣].

يقول الطبري : **" وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنة : أي حتى لا يكثر الشرك بالله وحتى لا يعبد من دونه أحد ، وتكون العبادة والطاعة لله "**.[٦١]

ويقول ابن الهمام الحنفي **" الجهاد فرض لإعزاز دين الله "**.[٦٢]

إذن الهدف الأساسي من الجهاد في سبيل الله هو إقامة منهج الله في الأرض ، ودعوة الناس إلى عبادته وتمكين شرعه. والمسلمون مكلفون من الله دون غيرهم بتبليغ دينه للناس ليكون لهم منهجاً للحياة.

الهدف الثاني : رد العدوان :

الإسلام يوجب على المسلمين أن يكونوا دائماً على حذر من مهاجمة العدو لهم ، وعلى استعداد للقائه ، وأن يَعِدُّوا من الجنود والعتاد ما يرهبه ويلقى في قلبه الرعب ، ويمنعه من التفكير في الاعتداء على المسلمين.

يقول الشاطبي : **" حفظ الدين يكون بوجوب الجهاد.. وجوب الجهاد ليس لمجرد الكفر بل لكونهم حرباً علينا "**.[٦٣]

والمسلمون اليوم في أكثر بقاع الأرض يعيشون في ضعف وذلة وهوان ، وخاصة الأقليات المسلمة ، فقد أذلهم الكافرون وضيقوا عليهم في مزاولة الشعائر الدينية ، وأنزلوا بهم أبشع الجرائم من تشريد وتشتيت وقتل وتعذيب ووجدت المرأة المسلمة نفسها في طريق مسدود ، وفريسة لذئاب وحشية تعمل فيها ما تعمل من تشريد وتعذيب واغتصاب.

---

(٦١) جامع البيان ، الطبري ج٢/ ١٩٤.

(٦٢) فتح القدير ، ج٨/ ٤٣٨.

(٦٣) الموافقات ج٢/ ٩.

وفي الهند[٦٤] يتعرض المسلمون للتصفية الجسدية والإبادة المعنوية وذلك عن طريق المجازر الرهيبة التي تشهدها مناطق المسلمين بالهند باستمرار.

أما في بلغاريا فقد هدمت المساجد ، ومنع تدريس الدين الإسلامي واقتناء القرآن الكريم أو أي كتاب إسلامي ، وفرضوا السفور على المسلمات ، ومنعوهم من دفن موتاهم وفق الأصول الإسلامية ، فهناك مليون مسلم بلغاري يتعرضون للقتل الجماعي.

هذا جزء يسير من الواقع المرير الذي تعيشه هذه الأقليات المسلمة ، فيكون بذلك الجهاد فرضا لازماً لدفع الشر والفساد ، فلا بد أن نعد العدة التي ترهب الأعداء وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٠].[٦٥]

أمر الله[٦٦] سبحانه وتعالى المؤمنين بإعداد القوة للأعداء وذكر الخيل لأنها كانت أصل الحروب والتي عقد الخير في نواصيها ، وهي أقوى القوة وبها يجال في الميدان.

الهدف الثالث : نصرة المستضعفين في الأرض :

شرع الجهاد في سبيل الله لرد الظلم عن المظلومين ، والقضاء عليه وعلى أسبابه أينما وجد ، وإحقاق الحق وإبطال الباطل ، ونصرة المستضعفين في الأرض من النساء والولدان والعاجزين عن الدفاع عن أنفسهم ضد الطغاة الظلمة. فالجهاد بهذا الشكل هو واجب وفرض مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً** ﴾ [النساء : ٧٥].

يتضح لنا من هذه الآية أن نصرة المظلومين ومساعدة المضطهدين وحماية المستضعفين هو واجب شرعي ، وقتال الأعداء في هذه الحالة هو جهاد في سبيل الله وتمكينا لدعوة الحق.

---

(٦٤) مجلة منار الإسلام ، العدد١١ ، ذو القعدة ١٤٠٧ ، مقال بعنوان الهند ومخطط الإبادة ، د. يونس ، ص٩٤.

(٦٥) مجلة الهدى الإسلامي ، العدد ٢٥٠ ، شوال ١٤٠٥ ، المسلمون البلغار.

(٦٦) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج٨/ ٢٤.

يقول ابن الهمام الحنفي : " الجهاد يكون لرفع ظلم الظالمين من المستضعفين ، وإطلاق الحريات لهم ولتحقيق الأمن والاستقرار ، وإحلال السلام ولصون كرامة الإنسان وحريته ".[٦٧]

وقبل أن نختم الحديث في أهداف الجهاد فإني أرى أن هنالك أمورا لا بد من الالتفات إليها والاهتمام بها وهي :

(١) أن الجهاد فرض على المسلمين لنصرة الإسلام ، بعد وجود مقتضياته من قبل العدو.

(٢) أن الغاية من الجهاد هي إعلاء كلمة الله تعالى ، وتكون ابتداء بالطرق السلمية ، والدعوة للدين الحق بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى.

(٣) إن الجهاد إنما يكون بين المسلمين وأعدائهم الكافرين ، فلا يقاتل المسلمون بعضهم بعضا ، ولا يكون الجهاد إلا عند المحافظة على الدولة الإسلامية وتحصين البلاد ، عندئذٍ يلجأ للقتال لضرورة قتال المعارضين للدعوة. وكل جهد يبذل في هذه الغاية فهو سبيل الله.

(٤) إن أعداء المسلمين يستخدمون أحدث ما توصل إليه العلم من أسلحة الدمار والبطش ، فضلا عما يكنونه للإسلام والمسلمين من حقد بالغ وعداوة عميقة الجذور ، ولذلك فإن معاركنا مع أعدائنا لا بد أن تقابل بتعبئة كاملة. وهذا يتطلب خلق الشباب القادر على مواجهة التحديات.

(٥) العمل على تحبيب العسكرية إلى نفوس الشباب.

(٦) العمل على امتلاك الشباب القدرة على استخدام السلاح بكفاية عالية.

(٧) إتاحة الفرصة للشباب لنيل شرف الجهاد والدفاع عن الوطن والدين.

صور ومواقف من الجهاد في سبيل الله

موقعة بدر الكبرى :

يقول ابن هشام[٦٨] : لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام ، ندب المسلمين إليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فأخرجوا لعل الله ينفلكموها.

---

(٦٧) فتح القدير ج٨/ ٤٣٥.

(٦٨) السيرة النبوية ، ج٢ ، ١٨٢.

ولما أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس ، فقام أبوبكر الصديق فقال وأحسن ، وقام عمر بن الخطاب ، فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ ... **فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾ [المائدة : ٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد " **موضع بناحية اليمن** " لجالدنا معك من دونه ثم قال رسول الله ﷺ : أشيروا علي أيها الناس. وإنما يريد الأنصار... قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدينا يا رسول الله؟ قال : أجل قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدوا غداً إنا لصبر في الحرب ، صُدُق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقِرّبه عينك ، فسُر بنا على بركة الله. فَسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أرى مصارع القوم.

عن ابن عباس قال : حدثني رجل من بني غفار ، قال : أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف منا على بدر ، ونحن مشركان ننتظر الفرصة على من تكون الدبرة " **الدائرة** " فننتهب مع من ينتهب ، قال : فبينا نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، فسمعت قائلاً يقول : أقدم حيزوم " **وحيزوم هو فرس جبريل** عليه السلام " ، فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه ، فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ، ثم تماسكت وعن أبي داود المازني ، وكان شهد بدراً قال: أني لأتبع رجلاً عن المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أنه قد قتله غيري.

وعن عبد الله بن عباس : كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد ارسلوها على ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حُمر.

قال ابن إسحق : قال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في يوم بدر وفي قطع رجله حين أصيب في مبارزته هو وحمزة وعلي حين بارزوا عدوهم :

سنبلغ عنا أهل مـكة وقعة * يهب لها من كان عن ذاك نائياً
بعـــتبة إذ ولى وشـــيبة بعده * وما كان فيها بكر عتبة راضياً

فإن تقطعوا رجلي فإني مسلم * أرجو بها عيش من الله دانياً
مع أمثال التماثيل أخلصت * مع الجنة العليا لمن كان عاليا
لقيناهم كالأسد تخطر بالقنا * نقاتل في الرحمن من كان عاصياً

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التوبة : ٧٣].

موقعة كرري(٦٩) :

ونتحدث الآن عن أسلافنا الذين حملوا الراية السودانية خفاقة بشرف وصدق وإخلاص ، من هذا المنطلق الذي يسرى إيمانا في دماء أبنائنا نحمل المشعل وضاء ننطلق لندفع ثمن الوصول إلى مبتغانا لنحمي ترابنا الطهور هذه المعركة تعود بنا إلى ماضينا الزاهي لنستلهم حاضرنا المشرف ، وننطلق لمستقبلنا الوضاء.

إن عشرة آلاف رجل سالت دماؤهم الغالية- رخيصة وهم يذودون عن حياض وطنهم في أربع ساعات من الزمان ، وفي بقعة من الأرض لم تتجاوز أربعة آلاف ميل- موقعة كرري ١٨٩٩م.

نستهدف من هذا إبراز الدروس الهامة من هذه المعركة عسى أن تصبح ذكرى كرري مداً لانتصارات في قواتنا المسلحة الشعبية فأي اعتداء مهما كان نوعه أو حجمه فالدفاع عن الأرض يهون في سبيله الأرواح وقد ضرب لنا أهلنا وأجدادنا مثلاً أعلى في التضحية والفداء.

لا بد أن يقرأ جيلنا العبر والدروس ليستلهم الشجاعة والبسالة في ذكرى الأبطال ذكرى الشهداء.

موجات الهجوم على الصفوف المتراصة وعلى عاصفة النيران التي هبت عليهم من أكثر من اتجاه.. من النيل.. البوارج ، ومن الأمام بنيران القائد ماكدونالد. كل صف متبقى أمام النيران الساحقة ثم تتمزق وتختفي رجاله أمام النيران الحاصدة ، وقبل أن يتلاشى الدخان يتقدم صف آخر ، لقد تكرر هذا المشهد ست عشرة مرة **" ستة عشر صفاً مرت بنفس المراحل صفاً وراء صف ، نفس الأطوار التي مر بها الصف الأول مر بها الأخير ، ولم يحاول أحد منهم النكوص على عقبيه أو الرقاد على الأرض بل اندفع لملاقاة النار وقد تجسم كل**

(٦٩) كرري ، عصمت حسين زلفو ، ص٥٣٦.

أملهم وطموحهم في الوصول للعدو ولكن يحول دونهم جدار من رصاص ساخن ". منهم من اندفع حاملاً بندقيته الفارغة ليضرب العدو ، ومنهم من قذف حربته ، ومنهم من تقدم أعزل وكل سلاحه قبضته وغضبه الجارف ، حتى حملة الأعلام أصروا على الوصول بأعلامهم لصفوف العدو ولم يجدوا ما يشفى غليلهم من استخدام اقنية الأعلام.

كان هجومهم مباشرة أمام الأفواه الفاغرة للرشاشات لتلتهم صفوفهم واحداً بعد الآخر.

إن الصفة الأساسية المطلوب توافرها في الجنود هي أن يكونوا مقاتلين قبل أن يكونوا جنوداً. والمقاتل هو تلك الأداة المشحونة بجرعة معنوية قوية تمكنها من التغاضي ونسيان غريزة البقاء مخاطرة بحياتها بحيث تعتبر القفز نحو الموت في نظرها أمراً هيناً ، لا بد من الصلابة الجسدية والمقدرة على تحمل المشاق ، والإدراك الغريزي لأقرب الطرق لتصل العدو. وهنا يكمن دور البيئة ومقدرتها في تقديم أعيرة مختلفة من المقاتلين.

ولو قدمنا هذا التقييم على قوات الخليفة في أم درمان ، سنجد أنهم أفلحوا في أن يقدموا للتاريخ أحسن مثال للمقاتلين ، وهذا بشهادة أعدائهم ، وهنا ظاهرة تلفت النظر ، وهي أنه إذا كان مقياس المقاتل هو الشجاعة التي لا تعرف حدوداً لا تبالى بالموت. نجد أن مقاتلي الخليفة لم يبالوا بالموت فحسب ، بل تمنوه وكان شيئاً مستحسناً لهم إذن فهم كمقاتلين تجاوزا حد الكمال ، وقد أهّلَهم لذلك حافز قوي...الجنة.

يقول تشرشل : **" وحيث سقط العدو ، لم تكن هنا مراسم الدفن والموسيقى ، وللاحتفالات التي تمجد عظمة الرجولة الصامدة ، ولكنهم كانوا أشجع من مشى على الأرض ، دُمّروا ولم يُقْهَروا بقوة الآلة "**.

أردت باستعراض هذين المثالين **" موقعة بدر الكبرى وموقعة كرري "** أن نتذكر ونعتبر من هذه الصور المواقف العظيمة من المجاهدين وكيف أن الدفاع عن الدين والوطن تهون في سبيله الأرواح.

وإذا حاولنا الربط بين موقعتي بدر الكبرى وموقعة كرري ، نجد أن الإيمان هو الدافع القوي للمجاهدين في كلا المعركتين رغم قلة العدد والعتاد ، ففي موقعة بدر الكبرى انتصر المؤمنون بالإيمان ، وفي موقعة كرري نجد أن المقاتلين قد أفلحوا في تقديم أحسن مثال للمقاتلين ، وهذا بشهادة أعدائهم ، فلم يبالوا بالموت ، فقد كان حافزهم القوي هو الجنة.

الخاتمة :

وفي خاتمة البحث نقول إن الجهاد قد شرع للحفاظ على أعظم مصلحة يتوقف على وجودها نظام الحياة.. ويترتب على فقدها اختلال نظام الحياة ، ألا وهي مصلحة الدين.

كما أن الجهاد هو سبيل العزة والكرامة والسيادة ، كما فيه بذل النفس والمال ابتغاء وجه الله ، ونيل الثواب العظيم في الآخرة. يقول ابن الهمام : " **فضل الجهاد عظيم كيف لا وحصيلته بذل أعز المحبوبات ، وإدخال أعظم المشقات عليه وهو نفس الإنسان مرضات الله تعالى وتقرباً إليه بذلك** ".[٧٠]

والجهاد فيه نشر دعوة للإسلام المليء بالقيم العظيمة التي تجعل الإنسان يستمتع بسكينة النفس وطيب العيش.

كما إن في الجهاد إرهابا للأعداء ، لأن الكفار إذا علموا تأهل المسلمين للجهاد واستعدادهم له ، خافوهم ويكون في ذلك دفع عدوان الكفار ، وليس وقوع القتال المهلك للنفوس والمخرب للديار ، فيكون الله قد جعله سبباً لمنع الحرب ، لا سبباً في إيقادها ، لأن الضعف يغرى الأقوياء بالتعدي على الضعفاء. لذلك أمر الله بإعداد العدة لأجل الإرهاب الذي تنتج عنه المصلحة التي تترتب على هذا الفعل الذي أمر به.

إن أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج وتوصيات ما يلي :

(١) الحرب فيها الظلم والاستعلاء والاستكبار ، بغيضة ، يبغضها الله وينهي عنها لأن فيها اعتداء ، أما الجهاد فيترتب عليه إرساء قواعد الحق والعدل ونشر فضائل الإسلام ، فالجهاد غير الحرب وليس هناك علاقة بين المعنيين من قريب أو بعيد.

(٢) إن أعداء المسلمين يستخدمون أحدث ما توصل إليه العلم من أسلحة الدمار والبطش ، فضلاً عما يكنونه للإسلام والمسلمين من حقد بالغ وعداوة عميقة الجذور ، ولذلك فإن معاركنامع أعدائنا لابد أن تُقابل بتعبئة كاملة ، وهذا يتطلب خلق الشباب القادر على مواجهة التحديات.

(٣) العمل على تحبيب العسكرية في نفوس الشباب.

(٤) إتاحة الفرصة للشباب لنيل شرف الجهاد والدفاع عن الوطن والدين.

---

[٧٠] فتح القدير ، ابن الهمام ، ج٨/ ٤٣٥.

المراجع :

أولاً كتب التفسير :

(١) التفسير الكبير : الإمام الفخر الرازي ، أبو عبد الله عمر القرشي [٦٠٦هـ] ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ١٤٠٥هـ.

(٢) تفسير القرآن العظيم : الإمام إسماعيل بن كثير القرشي [٧٧٤هـ] ، مطبعة دار الهلال ، بيروت ١٤٠٧هـ.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري [٣١٠هـ] ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٨هـ.

(٤) الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٨هـ.

ثانياً كتب الحديث :

(١) سنن أبي داوؤد : أبو داوؤد سليمان بن الأشعث [٢٧٥هـ] ، توزيع المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٩هـ.

(٢) سنن الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة [٢٧٩هـ] ، البابي الحلبي ١٣٧١هـ.

(٣) سنن ابن ماجة : الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني [٢٧٥هـ] ، دار إحياء الكتب العربية.

(٤) صحيح مسلم : أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري [٢٦١هـ] ، دار الفكر والطباعة والتوزيع ، ١٤٠١هـ.

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني [٨٥٢هـ] ، البابي الحلبي ١٣٨٧هـ.

(٦) موطأ الإمام مالك : الإمام مالك بن أنس ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ.

ثالثاً الفقه والأصول :

(١) فتح القدير : ابن الهمام ، البابي الحلبي ، مصر ١٣٨٩هـ.

(٢) المغني : ابن قدامة الحنبلي ، مكتبة الجمهورية ، القاهرة.

(٣) الموافقات في أصول الشريعة : أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، المكتبة التجارية ، مصر.

(٤) المقدمات الممهدات : ابن رشد ، إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر ١٤٠٨هـ.

(٥) مجموعة فتاوى ابن تيمية : شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ، دار الفكر للطباعة والنشر.

رابعاً السيرة النبوية :

(١) السيرة النبوية : ابن هشام [٢١٣هـ] ، دار الجيل ، بيروت.

خامساً المعاجم العربية :

(١) تاج العروس من جواهر القاموس : محب الله محمد مرتضى الزبيدي ، مطبعة حكومة الكويت ١٤٠٧هـ.

(٢) لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور [٧١١هـ] ، دار صابر للطباعة والنشر ١٣٧٤هـ.

سادساً مراجع متنوعة :

(١) أضواء على الثقافة الإسلامية : د. نادية شريف العمري ، مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ.

(٢) تاريخ الحرب في عصر الجاهلية ، السيد عبد العزيز سالم ، دار النهضة العربية ـ بيروت ، د.ت.

(٣) الجهاد في سبيل الله ، المودودي ، الاتحاد الإسلامي العالمي ، د . ت.

(٤) فن الحرب الإسلامي ، بسام العسلي ، دار الفكر ، ١٤٠٨هـ.

(٥) كرري ، عصمت حسين زلفو ، دار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم ، بدون تاريخ.